الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشّهيد حمّة لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

السنة الثالثة لسانيات عامـة
مدّة الاختبار: ساعة ونصف

الإجابة النّموذجية لاختبار اللسانيات العربية للسّداسي الأول - 2023/ 2024م

السؤال الأول(8نقاط)

- اِشرح ما يلي بإيجاز:

- التّأثير الخفي والتّأثير الجلي للّسانيات في البحث اللّساني العربي(2ن).

قسّم الباحث **عز الدين المجدوب** الوصفيين العرب من خلال تأثرهم باللسانيات الوصفية إلى قسمين: قسم تأثر تأثرا خفيا باللسانيات أمثال **إبراهيم مصطفى وتلميذه مهدي المخزومي** اللذين بقيا في إطار التراث نقدا وإحياء وتجديدا حيث بقيا في إطار قواعد النحو بحثا عن التيسير والتسهيل مع وجود ملامح الوصفية التي يمكن إدراكها أحيانا...، وقسم ثان تأثر باللسانيات بشكل جلي وواضح من خلال الانخراط في التأليف اللساني كإبراهيم أنيس وتمام حسان وأنيس فريحة وكمال بشر ومحمود السعران، حيث تبنى هؤلاء في إعادة وصفهم للغة العربية الفصحى ما اقترحته اللسانيات الوصفية البنيوية من تقسيم للغة على مستوياتها الأربعة الصوتي والصرفي والتركيبي و المعجمي الدلالي....

- الاتّجاه البنيوي الشّكلي والاتّجاه الوظيفي في اللسّانيات العربية(3ن).

1-الاتجاه البنيوي الشكلي: ويقسّم إلى قسمين :

أ- الاتجاه البنيوي الوصفي(1ن):

يعدّ المنهج البنيوي الوصفي من المناهج الّتي تجسّد الاتّجاه الشّكلي، فهو يُعنى بدراسة المنجز في صورته الآنيّة بغض النظر عن السّياق الّذي أُنتج فيه أو علاقته بالمرسل وقصده وإنتاجه، ويتمّ ذلك بتحليل لغة بعينها مثل اللّغة العربيّة بوصفها كيانًا مستقلًّا ذات بنية تركيبيّة وإيجاد العلاقة بين هذه المستويات، بدءًا من تحليل الأصوات والصّرف والتّركيب إلى تحليل جزئيٍّ لمستوى الدّلالة ...

ب- الاتجاه التّوليدي التحويلي(1ن):

اهتم هذا الاتّجاه بتكوين الكفاءة اللّغوية ونموّها عند الطّفل من هنا كانت العناية بتفسيرها والأنساق الّتي تعمل فيها، لذا فالنّحو التّوليدي لتشومسكي رغم أنّه يعتبر مرحلة متطوّرة قياسًا بما سبقه فإنّه ينحو إلى التّجريد واصطناع الجمل في بعض الحالات، كعبارته المشهورة "**تنام الأفكار الخضراء عديمة اللّون باختناق**"، ورغم أنّ هذه الجملة صحيحة نحويًّا، إلّا أنّها لا تدلّ على معنى مفهوم.

لقد اتجّه الشّقّ الشّكلي بصنفيه البنيوي الوصفي والتّوليدي التحويلي في دراسة اللّغة على أنّها عبارة عن ظاهرة أو نظام يمكن وصفه وتحليله بمعزل عن دورة التّوالي، ورغم ما قدّم هذا الاتّجاه من أفكار أغنت الدّرس اللّساني، إلا أنّه أثبت قصوره في دراسة الظّاهرة اللّغوية الّتي على أساسها يتم إقامة تواصل نشيط وعميق لا يمكن تحليله بمعزل عن سياقه الوظيفي التّواصلي الفعلي أو ما يسمى التّفاعل الاجتماعي عبر اللّغة.

2- الاتّجاه الوظيفي التداولي(1ن):

ينظر هذا الاتّجاه إلى اللّغة باعتبارها بنية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بوظيفتها التّواصلية، فلابدّ من البحث عن الخصائص الّتي تخوّل للّغة إنجاز وظائف معيّنة، والمقاربة الوظيفيّة للّغات الطّبيعية أهمّ ما ترتكز عليه مبدأ ربط المقال بالمقام أي ربط الخطاب بظروف إنتاجه، فهي مقاربة إنجازيّة ترتكز على المنجز اللّغوي،إنّ هذا الاتّجاه يشدّد على وظيفة الأشكال اللّغوية، ويكون ذلك انطلاقا من تبعيّة البنية للوظيفة، علمًا أنّ الاتّجاه التّواصلي الوظيفي يتمثّل في مناهج كثيرة، منها الدّراسات الوظيفية والتّداوليّة والنّحو الوظيفي واللّسانيات الاجتماعية، وتحليل الخطاب في المراحل المتأخّرة من خلال ربطه بسياق إنتاجه، إذ انفتح في تحليله على كثير من العلوم، كعلم الاجتماع وعلم النّفس وغيرهما.

- يقول الباحث مازن الوعر: « ويبدو لي أنّ أساس الصّراع بين الأصالة اللّغوية والمعاصرة اللّسانية ليس صراعا بين الأعمال اللّغوية التّراثية الّتي وضعها العرب القدماء وبين الأعمال اللّسانية المعاصرة الّتي وضعها علماء اللّسانيات المحدثون في الغرب. إنّ الصّراع في جوهره يكمن بين الباحثين العرب أنفسهم (كامتداد للأزمة النّفسيّة الفرديّة التي يعاني منها إنساننا العربي) بين الباحثين الّذين يشدّهم التّاريخ القديم إلى أقصى مسافات اليمين وبين الباحثين الّذين يشدّهم التّاريخ الحديث إلى أقصى مسافات اليسار».-ينظر: قضايا أساسيّة في علم اللّسانيات الحديث، مازن الوعر، دار طلّاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق ط1988،1م، ص354-355.

-الشّرح(3ن):

ينطلق كثير من الدارسين العرب في دراساتهم من مقولة أنّ التراث العربي يختلف عن اللسانيات الغربية اختلافا جذريا وجوهريّا، فهما متعارضان ولا يلتقيان وأنّ دراسة أحدهما تعني آليّا التخلّي عن الآخر، وهذا غير صحيح في نظر مازن الوعر، فالتراث واللسانيات كلاهما بريئان ولا دخل لهما في هذا الصّراع الذي هو في الحقيقة صراع بين أشخاص الباحثين العرب المتعصبين عن فهم أو عن غير فهم، وهو صراع على هامش التراث واللسانيات على حدّ سواء، فالنّحو مثلا-كما يرى عبد السلام المسدي- لا ينفي اللسانيات ولا ينقضها، بل إن وجوده متوقّف قطعا على وجودها، ولا معنى للسانيات دون استنباط قواعد اللغة فهما ليسا ضدّين بالمعنى المبدئي للتّضاد.

إنّ هذا الصّراع له أسباب عديدة منها ما هو صراع نفسي يتعلّق بالمتخيّل والمخيال الذي يعيشه الفرد العربي، ويقصد به مجموعة من التصوّرات المشتركة لدى شعب أو فئة معيّنة تجاه شعب أو فئة معيّة أخرى، وهو كما يقول محمّد أركون: "هو عبارة عن عقائد خاطئة تتصوّرها النّفس وتجسّدها في المخيال خارج كل رقابة أو سيطرة للعقل"، وهذا الذي يحدث بالنسبة للعرب تجاه الغرب ويأخذ شكلين متناقضين:

- فريق يرون في الغرب العدو الأزلي الذي يحيك المؤامرات ضد العرب والمسلمين من خلال استحضار ماضي الغرب الاستعماري ويقيسون عليه كل أمر مستجد من الغرب على السّاحة العربية، هذا الأمر كما يقول الوعر يشد بعض الباحثين إلى أقصى مسافات اليمين بمعنى يزيدهم تعصّبا للتراث وتمسّكا به كما هو دون نظر فيه، وبالتالي يرفضون اللسانيات فهي علم غربي يشكّل خطرا على اللغة العربية ونحو ها بل والذكّر الحكيم أيضا(جانب أيديولوجي).

- وفريق عكس الأوّل تماما بسبب إحساس بالضعف تجاه الغربي فهو المتقدّم والمتحضّر ونحن المتخلفون يقيس على ذلك فيرفض التراث جملة وتفصيلا، ويتعصّب للسانيات كونها أكثر نجاعة وكفاءة في تحليل اللغة، وهؤلاء بتعبير الوعر يشدّهم التّاريخ الحديث إلى أقصى مسافات اليسار في اتّجاه نقيض بمعنى يتعصّبون للسانيات الغربية كما هي دون نظر أو تمحيص ويرفضون كلّ التّراث.

وخلاصة القول نحن ندعو لعدم التّعصّب لا للتراث ولا للسانيات، فلا يمكن أن يقبل كلاهما كما هو في المجمل، فالأمر يحتاج إلى نقد موضوعي ودراسة وتمحيص بحثا عمّا يفيدنا في دراسة وتحليل اللغة بتعبير عبد الرّحمان الحاج صالح.

السؤال الثاني(12نقاط)

يذهب أغلب الباحثين إلى القول بأنّ اللّسانيات العربية بكل اتّجاهاتها قد اتّجهت منهجا توفيقيا واضحا (لسانيات توفيقية)تتبنّى أنموذجا يمزج بين اللّسانيات الغربية الحديثة والتّراث اللّغوي العربي القديم رغم رفض بعض اللّسانيين العرب المحدثين الظّاهر للتّراث، إذ لم يستطع هؤلاء أن ينتجوا درسا لسانيّا عربيّا مستقلّا عن التّراث أو يعوّضه.

المطلوب:

حلّل وناقش القول معرّجا على مواطن الاتّفاق(التّوافق) ومواطن الاختلاف بين التّراث اللّغوي العربي واللّسانيات الغربيّة(**الإجابة على شكل مقال**).

-المقال:

لقد كان لظهور اللّسانيات الغربية الحديثة أثر بالغ على الدّراسات اللّغوية العربيّة الحديثة، فكان ذلك بمثابة الصّدمة القويّة الّتي جعلت هذه الدّراسات تنقلب رأسا على عقب، دون فهم حقيقي لمعطياتها وأفكارها وأسسها أحيانًا، ما جعل الكثير من الدّراسين العرب المحدثين يقع في ورطة حقيقيّة، حيث راح يكيل الاتّهامات للتّراث النّحوي العربي جزافًا دون وجه حق.إنّ الشّهرة الّتي صاحبت اللّسانيات أو ما عَبّر عنه مازن الوعر بمصطلح موضة العصر وصرخته، والتّفوّق العلمي والتّقني الّذي نُعِتَت به، واقترابها من العلوم التّجريبية إضافة إلى الرّكود العلمي والثّقافي الّذي ميّز الثّقافة العربيّة ومجموعة من العوامل التّاريخية والنّفسية الرّاكدة في مخيّلة الفكر العربي جعل البحث اللّساني العربي يسير في اتّجاهين متناقضين:- اتّجاه يرى في اللّسانيات علمًا غربيًّا يربطه بالمشاريع الغربيّة الاستعمارية لذا وجب الوقوف في وجهه والتّشبّث بالتّراث الّذي لا بديل لنا عنه، وهذا الفريق لم ينخرط في الحداثة اللسانية وليس المجال للحديث عنه في هذا السياق- واتجاه مناقض تماما يرى في اللّسانيات الخلاص الأكيد ممّا أصاب الفكر العربي من جمود وانحطاط وتخلّف، وبعض منتسبيه يعاملون التّراث اللّغوي العربي بازدراء أحيانا، فهو إرث ثقيل متخلف يجب التّخلّص منه، وأنّه قد أدّى دوره في المراحل الماضية، ولكنّه لم يعد صالحًا لوصف العربية الحاليّة، ويجب مواكبة اللّسانيات والاستفادة من اكتشافاتها وإنجازاتها العظيمة! هذا الفريق هو بيت القصيد ومحور الكلام، والسؤال المطروح: هل هذا الموقف الذي اتخذوه من التراث يعبّر عن مضمون وممارسة أم كان مجرد عناوين لا وجود لها في الواقع، وهل استطاع هؤلاء أن ينتجوا درسا لسانيّا عربيّا مستقلّا عن التّراث أو يعوّضه، ثمّ السؤال الجوهري بالمقابل ماهية العلاقة أساسا بين التراث واللسانيات هل هي علاقة ائتلاف أم اختلاف؟**(1.5ن)**

أولا: موقف اللسانيين العرب من التراث بين رفضه شعارا واستثماره ممارسة وواقعا والعجز عن تقديم البديل**(4ن).**

بناء على النظريات اللسانية المختلفة من بنيوية وصفية وتوليديّة تحويليّة ووظيفية وتداوليّة ظهرت اتجاهات لسانية عربية تبنّت هذه النظريات وحاولت تطبيقها على اللغة العربية، هذه الاتجاهات كانت مواقفها من التراث اللغوي القديم شبيهة إلى حدّ ما بمواقف اللسانيين الغربيين الذين تنسب لهم هذه النّظريات، للإشارة فإنّنا سنتخذ في هذا السياق هذه الاتجاهات المنسوبه إلى النظريات اللسانية الغربية متغاضين عن الاتجاه التوفيقي التجسيري لأنّ تصنيفه مختلف وموقفه من التراث واضح من جهة ومن جهة أخرى في النتيجة هو يحتوى هذه الاتجاهات الثلاثة، ويعبّر عنه ما سمّيناه أصول التوافق أو أوجهة التوافق أو التوفيق التي سيأتي الحديث عنها في هذا السّياق.

1-موقف الوصفيين العرب من التراث :

لقد تأثر اللسانيون الوصفيون العرب باللسانيات الغربية الحديثة تأثرا بالغا، فثار بعضهم على النحو العربي ثورة غير مبررة وغير موضوعية فدعوا إلى تركه، كإبراهيم أنيس وتمام حسان وأنيس فريحة، فدعا **إبراهيم أنيس** إلى ترك الإعراب، وهو يرى بأن النحاة قد فرضوه فرضا، وفي رأيه إن وظيفة الحركة الإعرابية هي وصل الكلمات فقط وليس لها أي مدلول، إذ ليس ثمة تلازم بين العلامة الإعرابية وتغير المعاني، أمّا **أنيس فريحة** فدعا في كتابه "**نحو عربية ميسرة** "إلى ترك الإعراب ورفض نظرية العامل، بل رفض العربية الفصحى أصلا، حيث يرى بأنّه عند سقوط الإعراب والعامل الموجد له تتطور اللغة وترتقي بنا الحياة ويسمو بنا الفكر مشيدا باللغة الأنجليزية التي تخلت عن الإعراب فأصبحت **تعبّر عن الفكر والعلم والفنّ بيسر**، كما رفض **تمام حسّان** العامل جملة وتفصيلا سواء كان العامل لفظيا أو معنويا، وأعطى بديلا لنظريّة العامل النّحويّ - الّذي يرى أن فكرته خرافة – تمثّل في نظريّة القرائن الّتي تتمثّل في فهم التّعلّق على وجهه الكافي وقد ظهر موقف تمام حسّان على صورته النهائيّة في كتابه الموسوم بـ:"**اللغة العربية معناها ومبناها**" الّذي تناول فيه نظريّة العامل النّحويّ وأعطى لها البديل الأنسب في رأيه متمثلا في نظرية القرائن المذكورة، وكان تمام حسان كثيرا ما يفند رأيا للقدامى في طيّات كتابه و يعطي بديله، انطلاقا من نظريّته تلك .

وعلى العموم إن الوصفيين العرب تأثروا باللسانيات الوصفية وأغرموا بها فكانوا مقلدين للغرب في ملاحظاتهم فوصفوا النحو العربي القديم بمثل ما وصف به اللسانيون الغربيون النحو التقليدي الأوروبي بأنه معياري ومتأثر بالفلسفة والمنطق الأرسطي، فكان نقدهم أشبه بالدفاع عن المنهج الوصفي ووسيلة لتبرير سبب تبنيه، فلم يكن نقدا موضوعيا، والدليل على ذلك أنهم وقفوا في حدود النقد ولم يقدموا نظرية بديلة للنحو العربي القديم، فلم يتمكنوا من تكريس منهجهم، حيث ظل التراث مصدرا أساسا لكثير من الكتابات الوصفية العربية التي بقيت تردد بوعي أو بدونه تصورات ومصطلحات ومفاهيم القدماء وإن بأسلوب جديد ومصطلحات جديدة، بل إنهم أحيانا يشيدون بجهود النحاة واللغويين العرب في كتاباتهم وقد لاحظنا ذلك عند إبراهيم أنيس الذي كان متطرفا جدا في موقفه من التراث اللغوي العربي، وقد أشاد بالتحليلات الصوتية التي قام بها الخليل وسيبوية وابن جني(الرعيل الأول) ناقما على المتأخرين الذين لم يكملوا تلك الجهود القيمة، وهو أمر نلاحظه عند كل هؤلاء عند الاطّلاع على كتاباتهم فنظرية القرائن مثلا تقوم على فكرة التعلق والتعليق التي نادى بها الجرجاني، وهو أمر يؤكّد أن نقدهم كان متسرعا وخانته الموضوعيه في كثير من جوانبه.

2- موقف التوليديين التحويليين العرب من التراث:

إنّ المتتبّع للكتابة التّوليديّة العربيّة يرى بأنّها سلكت طريقين في موقفها من التراث لا ثالث لهما، يرى الفريق الأوّل أن معطيات التّراث ناقصة وليست ذات قيمة بأن تُعتمد لوصف اللغة العربيّة الحاليّة، وأهم من اتّخذ مثل هذا الموقف ميشال زكريّا، الّذي يرى بأنّه لا فائدة من ترديد ما قام به اللغويون العرب القدماء، وأن النظريات اللسانية هي البديل النّاجع لسبر قضايا اللغة العربية، **وكذلك عبد القادر الفاسي الفهري** الذي اتّخذ موقفًا متصلّبًا من التّراث اللّغوي والنّحوي خاصّة، وهو يرى بعدم ضرورة بل بعدم صلاحيّة تلك المعطيات، وفي سياق حديثه تحت عنوان:**"تصوّر خاطئ للتّراث"** أبدى تذمّره من الباحثين العرب الّذين دعوا إلى توظيف التّراث ودراسته واستثماره بغية عصرنته وإخراجه بحلّة جديدة، وهذا الموقف في نظر الفهري غير مجدٍ ولا فائدة تُرجى من ورائه، بل إنّه يفسد على القارئ تصوُّرَهُ للفكر اللّغوي العربي القديم(التّراث) وللفكر اللّغوي الحديث (اللّسانيات) في آن معًا .

وفريق اتخذ موقفا توفيقيًّا تجاه هذه المسألة-وهو الغالب- حيث دعا إلى ضرورة انفتاح البحث اللّساني العربي الحديث على البحوث اللّغوية العربيّة التراثيّة إن هو أراد تجاوز المجادلات العقيمة الّتي تعوق تقدّمه ومن ذلك الصّراع بين القديم والحديث، ويميل إلى ما يسمّى بالتّوفيق المعرفي أغلب التوليديين العرب، كمازن الوعر وخليل أحمد عمايرة ومحمد غاليم وعبد المجيد جحفة....

وإذ اعتبرنا موقف **عبد القادر الفاسي الفهري** موقفًا فريدًا عجيبًا وغريبًا يطرح تساؤلات كثيرة، ذلك أنه عند الاطّلاع على كتبه وتحليلاته للغة العربية نجد بأنه كثيرا ما يستخدم تحليلات النحاة نفسها دون إشكال من خلال تغيير

فقط لبعض المصطلحات التي تميزت بصعوبتها غالبا، دون تغيير في الجوهر لا للغة الواصفة(القواعد والتحليلات) ولا للغة الموصوفة(اللغة العربية)، بمعنى أنه لم يستطع تقديم البديل الذي يعوض قواعد النحو المعروفة وكان يسبح في إطار التراث، وهذا التعاطي السلس مع التراث وتحليلاته نجده أيضا عند الباحثين العرب الآخرين في إطار هذا الاتّجاه وهم الذين لم يُظهروا هذا التّعصب أصلا بل على العكس من ذلك تمامًا، فقد كانوا يتعاطون مع التّراث العربي بكلّ انسيابيّة وكانوا يعتمدون في كل مواقفهم على تحليلات القدامى وتصوّراتهم مع استثمار بعض المبادئ التوليدية التي ميّزت هذا الاتجاه الغربي في الأصل والذي تميّز بتشابهه مع النحو العربي أساسا.

3- موقف الوظيفيين التداوليين العرب من التراث:

لقد بدأت بوادر الوظيفية من اللسانيين العرب الذين تتلمذوا على يد فيرث كتمام حسان وإبراهيم أنيس على سبيل المثال وهؤلاء جمعوا بين الوصفية والوظيفية كما ذكرنا، لقد ظهرت ملامح الوظيفية بشكل خاص عند تمام حسان من خلال تركيزه على ثنائية" المبنى والمعنى" ويتمظهر ذلك في نظرية القرائن وكتاب اللغة العربية معناها ومبناها وقد سبق الحديث عنهما، ولكننا نذكر ذلك لأن تمام حسان كان وصفيّا وظيفيّا في ما قدّمه من اقتراحات لإعادة وصف اللغة العربية، ونشير مثلا لقوله في إطار التوجّه الوظيفي:"...من هنا يكون المعنى وظيفة المبنى، ويكون المبنى عنوانا تندرج تحته العلامة، ومن ثمّ أطلق الباحثون على هذا المعنى الذي تكشف عنه المباني التحليلية للمعنى الوظيفي واضعين إياه بإزاء المعنى المعجمي" ، ورغم ما أصدره هؤلاء من مواقف رافضة تجاه التراث فإنهم كما ذكرنا لم يترجموا تلك المواقف إلى منجز حقيقي بديل للتراث وكانت أعمالهم ذات طابع توفيقي واضح إلا بعض المصطلحات مسّت غالبا الشكل دون المضمون الّذي لم يتغيّر كثيرا.

إنّ البداية الحقيقية للاتجاه الوظيفي العربي كانت بأعمال المتوكل الوظيفية التداوليّة، وما يميّز المنحى الوظيفي العربي كما يذكر المتوكل وكما يلاحظه الدّارس بسهولة أنّه لم يلعب لعبة الإقصاء مع التّراث اللّغوي العربي كما فعلت بقيّة المدارس البنيويّة والتّوليديّة التّحويليّة في شقّها العربي، بل على العكس من ذلك تمامًا، فإنّ المتوكّل اعتمد مبدأً عامًّا يقوم على عدم إقصاء المقاربات الأخرى، مؤمنًا أشدّ الإيمان بوحدة البحث اللّساني وإمكانية التّحاور مع بقيّة الآراء والتّجارب وإن فصل بينها عامل الزمن' وما يستهدفه المتوكل هو التّعامل مع التّراث عرضًا ومقارنة واستثمارًا، بما يكفل توفية الفكر اللّغوي العربي القديم حقّه بعيدًا عن المحاباة أو الإجحاف، وهذه سمة واضحة وضوح الشّمس في ما قدّمه رائد هذا الاتّجاه وكل المشتغلين في هذا المجال يلاحظ هذا الأمر عند **المتوكّل، وطه عبد الرحمان، والبوشيخي، ونعيمة الزّهري**...

لقد دافع المتوكّل عن فكرة التّلاقح بين الفكر اللّساني الحديث والتّراث اللّغوي العربي بمصطلح الاقتراض، فالمنحى الوظيفي كما يتصوّر المتوكّل إنّما هو توثيق للعرى بين اللّسانيات الوظيفيّة الحديثة والتّراث اللّغوي العربي الّذي يعتبره ذا منحى وظيفيّ هو الآخر، ويوضّح المتوكّل أهداف مشروعه هذا في كتابه المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي الذي هو مد الجسور لوصل البحث اللّساني الوظيفي بالتّنظير العربي التّراثي للدّلالة، منظورًا إليها في مجمله نحوًا وبلاغة، فقه لغة وأصول فقه وتفسيرًا.

وإذا كنا قد ذكرنا موقف الاتجاه التّوليدي التّحويلي من التراث وأنّه كان يتميّز بممارسته التّوفيقيّة أثناء الممارسة والتّطبيق وأنّ زعيمه كانّ رافضًا للتّراث قولاً معتمدًا عليه فعلاً وتطبيقًا، فإنّ الاتّجاه الوظيفي التّداولي بقيادة زعيمه المتوكل، قد كان توفيقيًّا قولاً وفعلاً فانصهر الفكر اللغوي العربي في هذه النظرية وأصبح مندمجا فيها واستطاع بذلك إغناء النظرية الأم بتحليلات جديدة انطلاقا من الفكر اللغوي العربي الذي يؤكّد المتوكل دائما بأنه وظيفي أساسا، وقد أقام **المتوكل** ضمن الإطار النّظري لأنموج **ديك** دراسات مختلفة حول بنية النّحو في العربية فقدّم دراسة متكاملة واضحة الأصول. وفي إطار النّحو الوظيفي قام **المتوكل** في كتاباته العديدة بمحاولة وصف وتفسير كثير من قضايا اللّغة العربية منظورًا إليها من وجهة النّحو الوظيفي سواء بالقياس للفكر اللّغوي العربي القديم أو بالقياس للتّحاليل اللّسانية الحديثة.

ثانيا: مواطن الائتلاف والاختلاف بين التراث واللسانيات(5ن)

1-مواطن الائتلاف(التوافق)(3ن):

عبّر **محمّد الصّغير بناني** على هذه الفكرة في كتابه المدارس اللّسانية في التّراث العربي والدّراسات الحديثة بالقول :« **إنّ المدارس اللّسانيّة الحديثة، وإن كانت تهوى الاستقلال والتّفرّد بالمذهب، إلاّ أنّها في كثير من الأحيان ليست إلاّ ترديدًا وتكرارًا لأفكار سابقة، تعرض في ثياب ومفاهيم جديدة في الغالب، للتّظاهر بالسّبق والاستئثار بالاكتشاف**».

أ-أصول التوافق مع البنيوية الوصفية:

إذا كان من مبادئ المدرسة البنيويّة الوصفية مثلاً وصف الواقع اللّغوي من خلال السّماع عن أصحاب اللّغة أنفسهم، وكان الاتّصال بالواقع اللّغوي أصلا من أصول اللسانيات الوصفية، يمكن القول بأنّ التّراث النّحوي العربي بدأ وصفيًّا في كثير من جوانبه وأصوله، حيث اعتمد على استقراء المادّة اللّغويّة من مصادرها الأصليّة عن طريق السّماع والتّدوين المباشرين(الاستقراء)، ثمّ أُستنبطت القواعد الكليّة والجزئيّة من تلك المادّة المجموعة، حيث إنّ القاعدة خاضعة للاستقراء وليس العكس، والمتتبّع لكتاب سيبويه يلاحظ بوضوح تصريحاته بخصوص السّماع عن العرب أو أستاذه الخليل مثلاً، كقوله : "سمعنا ذلك ممّن يوثق به من العرب"، و"سمعنا العرب تنشده" ، ممّا يثبت أنّ النّحاة الأوائل سلكوا منهج الاستقراء العلمي في التّعامل مع الظاهرة اللّغويّة، انطلاقًا من تتبّع الجزئيات واستقرائها، وانتهاءً بالوصول إلى الكلّيات واستخراج الأصول والقواعد النّحويّة.

ومن مظاهر التوافق بين التراث النحوي واللسانيات التحليل الشكلي البنيوي، فمبدأ التحيل البنيوي الشكلي والتجريد هو هدف سعى النحاة العرب إلى تحقيقة وهو هدف مشروع لكنه أحيانا يسبب مشاكل في التحليل من ذلك على سبيل المثال يعربون جملة" انكسر الكأس" فعلا وفاعلا مع أن الفاعل الحقيقي لا وجود له في اللفظ، وكذلك جملة:"خاصم فلان فلانا" يعربونها فعلا وفاعلا ومفعولا مع أن المفعول فاعل في المعنى أيضا.

ب- أصول التوافق مع التوليدية التحويلية:

إنّ فكرة التّوليد النّحوي الّتي اشتهر بها تشومسكي موجودة عند الجاحظ والجرجاني وابن خلدون، هذا الأخير الّذي تحدث في مقدّمته عن الملكة اللغوية كيف يكتسبها الفرد عن طريق السماع والاستعمال المتكرر إلى أن تصبح ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدهم، وبناء على هذا المخزون الذهني بإمكان المتكلم توليد الجمل والعبارات.

ولقد سبق عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز تشومسكي في تحديد الفروق الدّقيقة بين العميق وغير العميق من عناصر الجملة، حيث فرّق بين النّظم والتّرتيب والبناء والتّعليق، فجعل النّظم للمعاني في النّفس، وهو تمامًا البنية العميقة عند تشومسكي، أمّا البناء فهو البنية السّطحية الحاصلة بعد التّرتيب بواسطة الكلمات، كما أنّ التّعليق هو الجانب الدّلالي من هذه الكلمات الّتي في السياق....

ومن أصول التوافق بين النحو العربي واللسانيات ما جاء في نظرية الربط العاملي لتشومسكي التي ذكر الباحث عبد الرحمان بودرع أنها تشبه نظرية العامل العربية، وهذا الأمر يؤكد احتمال تعرف تشومسكي عليها، ومن أصول التوافق بينهما كذلك:فكرة الأصل والفرع، فكرة التحويل.....

ج- أصول التوافق مع الوظيفية التداولية:

يذكر المتوكل أن التراث اللغوي العربي وظيفي في الأصل ومع ذلك يمكن أن نلاحظ هذا التشابه بين هذا التراث والنظرية الوظيفية من خلال بعض المسائل مثلا: الوظائف السّت المعروفة الّتي ذكرها جاكبسون لم تغب **عن الجاحظ** حيث تحدّث عنها بإسهاب، فلو طبّقنا تقسيم جاكبسون السّداسي للوظائف على كلام الجاحظ لوجدانه يشبهه إلى حدٍّ كبير، حيث تحدّث عن الوظيفة المرجعيّة الإخباريّة تحت عنوان الخبر والإخبار، أمّا بقيّة الوظائف فنلمسها من تعليقاته الّتي يعلّق بها على النّصوص والأخبار الّتي يسوقها على لسان الشّخصيات الّتي يعرض لها أو يروي عنها.

وينظر النّحو الوظيفي إلى اللّغة على أنّها أداة تسخّر لتحقيق التّواصل داخل المجتمعات البشريّة وينظر إلى الجملة على أنّها وسيلة تستعمل لتأدية أغراض تواصليّة وتدرس خصائصها البنيويّة على هذا الأساس، ولقد كانت هذه النّظرة الوظيفيّة شاخصة في التّراث اللّغوي عند اللغويين العرب، وخاض بعضهم في هذه المسألة **كالجاحظ وابن جنّي والجرجاني**، ونلمس ذلك مثلا من تعريف **ابن جنّي** للغة بأنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم ، وقد ذكر **الجرجاني** أن اللّغة يستعملها النّاس ليعرف السّامع غرض المتكلّم ومقصوده وأن الخبر والكلام مقاصد وأغراض.

2- مواطن الاختلاف(2ن):

وهذا الموقف يعبر عن حقيقة الدّراسات اللّغوية للأمم والحضارات الّتي لابدّ أن تتقاطع في مواضع كما ذكرنا كما يمكن أن تختلف في أخرى، لأنها من جهة تتناول موضوعا متشابها وهو اللغة وإن كانت لغات خاصة، وتختلف من جهة أخرى لأن الشعوب مختلفة والمنطلق والهدف مختلف والمكان والزمان مختلف وطبيعة التفكير مختلفة...، **وقد لخّص أحمد المتوكل أهم هذه الفروق والاختلافات في أربعة عناصر هي: ظروف الإنتاج والموضوع والهدف والمنهج:**

أ-من حيث ظروف الإنتاج: لقد استفادت اللّسانيات من المحيط العلمي ومختلف العلوم، وهو ما لم يكن متاحًا للدّراسة اللّغوية القديمة عمومًا، حيث إنّ اللّسانيات استفادت من الفلسفة والمنطق والرّياضيات وعلم النّفس والتّكنولوجيا.

ب- من حيث موضوع الدّراسة: حيث إنّ اللّسانيات جعلت كلّ اللّغات على اختلافها موضوعًا لدراستها(الملكة اللّسانية)، في حين أنّ بقيّة الأنحاء كانت تقتصر على اللّغة الواحدة، هندية، عربيّة، فرنسيّة...إلخ.

ج- من حيث هدف الدّراسة: كان الهدف الأساسي للدّراسات اللّغوية القديمة تعليمي للحفاظ على اللّغات وصونها من الأخطاء، في حين أنّ اللّسانيات كان سعيها حثيثًا إلى إقامة نحو كلّي لجميع اللّغات البشريّة يرصد الخصائص بوجه عام.

د- من حيث منهج الدّراسة:يختلف منهج اللّسانيات عن منهج الدّراسات القديمة الّتي قام النّحو فيها على أوصاف متفرّقة مختلفة غالبًا، وإذا اعترفنا بروح التّنظير عند القدماء، فإنّ منهج اللّسانيات مغاير تمامًا، يقوم على بناء نماذج خاضعة لقواعد الاستنباط وقوانين الصّورنة العلميّة، ممّا يجعلها قابلة للمعالجة الحاسوبيّة.

في الأخير يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية**(1.5)**:

- يمثل الاتجاه البنيوي الوصفي أول الاتجاهات البارزة في اللسانيات العربية، وقد تميّز هذا الاتجاه بسمة غالبة هي الثورة على القديم، لكن ذلك كان شعارا لم تعقبه ممارسة حقيقية، وذلك بسبب تسرّع هؤلاء وعدم تريثهم في المسألة، حيث انبرهوا باللسانيات ولكنّهم لم يحوّلوا أقوالهم وشعاراتهم إلى أفعال ومنجزات تفيد اللغة العربية أو تعوض التراث .

- كان موقف التوليديين العرب من التراث أكثر تصالحا باستثناء زعيمة عبد القادر الفاسي الفهري، وربّما يعود الأمر لكون صاحب النظرية قد بنى نظريته على القواعد الأكثر قدما وربما من بينها قواعد العربية، فهو متصالح مع كل الأنحاء القديمة، وما ميز هذا الاتجاه في المجمل ورغم جهودهم في هذا المجال فإنهم تناولوا قضايا جزئية غير مترابطة ولا متكاملة ناهيك عن صعوبة ما يستعمله هؤلاء من قواعد ومصطلحات خاصة عند الفهري مثل: التفكيك التبئير، الضّم الربض...وهي بالنتيجة لا يمكن أن تكون بديلة عن قواعد النحو المعروفة التي بقيت راسخة.

- يمثل الاتجاه الوظيفي التداولي أكثر الاتجاهات تصالحا مع التراث بل إن النحو الوظيفي ينبني على التراث وينطلق منه لكنه مع ذلك يتميز بصعوبته وتعقيده لأنه يدمج التركيب والدلالة والتداول، وأن المتعلم خاصة المبتدئ لا يحتاج لكل هذا، بل يحتاج إلى قواعد أساسية بسيطة لا يوفرها إلا النحو العربي التقليدي، بمعنى أن النحو الوظيفي يحتاج إلى قدرات خاصّة لا يمتلكها المتعلم الصغير إلا بعد تمكنه من أساسيات القواعد واللغة العربية التي تبقى مهمّة ومفيدة لا يمكن الاستغناء عنها.

بالتّوفيق للجميع